قراءة:

د. زهير صباغ*

عرض نقدي لكتاب توم سيجف

" اسرائيل في العام ١٩٦٧ "

صدر عن دار النشر الاسرائيلية "كيتر"، في العام ٢٠٠٥، كتاب تناول وجهة نظر تأريخية واسرائيلية للدولة العبرية وجيرانها وظروفها التي سبقت حرب حزيران في العام ١٩٦٧، وأدائها في زمن الحرب، والتطورات التي حدثت بعدها. ويبلغ حجم الكتاب ٧١٠ صفحات.

الغلاف

ولد الكاتب والصحافي الاسرائيلي توم سيجف في العام ١٩٤٥ لوالدين المانيين ويهوديين غادرا ألمانيا في العام ١٩٣٥، هربا من النازية، ليستوطنا في فلسطين. وفي ألثالثة من عمره فقد سيجف والده الذي قتل في حرب ١٩٤٨,[1]

ينتمي الكاتب سيجف الى مجموعة الاكاديميين الاسرائيليين الذين اطلق عليهم "المؤرخون الجدد"، مثل بيني موريس، ايلان بابيه، آفي شليم، وآخرين. وهو يعمل صحافياً في صحيفة "هآرتس" الاسرائيلية، وقد انجز سيغف سبعة كتب[1] وهي:

- الاسرائيليون الأوائل – ١٩٤٩ (١٩٨٤)
- جنود الشر – القادة العسكريون لمعسكرات التركيز النازية (١٩٨٨)
- العرب واليهود تحت الانتداب البريطاني (٢٠٠٠)
- المليون السابع: الاسرائيليون والمحرقة (٢٠٠٠)
- المغني الفيس في القدس: ما بعد الصهيونية وأمركة اسرائيل (٢٠٠٣)
- اسرائيل الاخرى: أصوات الرفض والانشقاق (٢٠٠٤)
- اسرائيل في العام ١٩٦٧ (٢٠٠٥)

استغرقت كتابة "اسرائيل في العام ١٩٦٧ " مدة خمس سنوات، أجرى الكاتب فيها بحثا في عدد من مراكز الابحاث الاسرائيلية

*استاذ في العلوم الاجتماعية، جامعة بير زيت.

وصلت الى ١٦ مركزا للوثائق مثل أرشيف الدولة، وأرشيف الجيش والارشيف الصهيوني. كما وزار ثمانية مراكز للوثائق خمسة اميركية، وواحد ألماني، وواحد بريطاني وأرشيف الامم المتحدة. وتشكلت مصادره من الرسمية وغير الرسمية. وبالاضافة للوثائق، استخدم سيجف عددا هائلا من المراجع باللغتين العبرية والانكليزية، من كتب، ومذكرات، ومقالات، ورسائل خاصة لمواطنين عاديين.

محتويات الكتاب

يتكون كتاب سيجف من أربعة اقسام تحوي ٢٤ فصلا تناول فيها الكاتب الحالة التي سبقت حرب حزيران والحالة التي تكونت بعد الحرب.

وشكل القسم الاول من الكتاب خلفية اقتصادية–اجتماعية–سياسية لاسرائيل والاسرائيليين في الفترة ١٩٦٦–١٩٦٧، وهي تغطي التطورات التي حدثت قبل بدء حرب حزيران.

وشكل القسم الثاني تأريخاً تفصيلياً للاجواء الاجتماعية–السياسية التي كانت سائدة قبل ثلاثة اسابيع من اندلاع الحرب في ٥ حزيران ١٩٦٧.

وشكل القسمان الثالث والرابع تأريخا لتطورات الفترة التي جاءت بعد الحرب من وجهة نظر الكاتب.

بين البعدين الاجتماعي والتاريخي

استخدم سيجف في كتابه اسلوبا خاصا به، ادخل فيه بعدا اجتماعيا للاحداث التاريخية، حيث استخدم ٥٠٠ رسالة شخصية كتبها اسرائيليون لاصدقائهم واقربائهم في الفترة ١٩٦٦–١٩٦٧. واستطاع سيجف المؤرخ أن يتحقق من عدة جوانب اجتماعية مثل: كيف شعر هؤلاء الاسرائيليون، وكيف عاشوا، وماذا كان مهما بالنسبة لهم، وماذا كانت أهم الامور، وكيف شعروا قبل اندلاع حرب حزيران؟.[٣] كما واستخدم سيجف يوميات كتبها جندي اسرائيلي أراد من خلال تدوينها معالجة مخاوفه من الحرب.[٤]

لقد قام الكاتب بتزويد القارىء بلوحات اجتماعية تعكس الحياة الاجتماعية للاسرائيليين اليهود، كما وتعكس اسلوب معيشتهم، ومشاكل الاقتصاد عشية الحرب، وأداء الحكومة ومواقفها وسياساتها وقراراتها تجاه عدد من القضايا.

سوف يتم عرض نقدي لبعض القضايا والمواضيع التي تناولها الكاتب والتي اعتقد انها كانت الاكثر أهمية، كما وستتم الاشارة الى قضايا تم اختزالها أو تجاهل أهميتها من قبل الكاتب.

كساد اقتصادي وبطالة

في الفترة ١٩٦٥–١٩٦٦ حدث تباطؤ في الاقتصاد الاسرائيلي، وبدلا من النمو بدأ الاقتصاد يعاني من الكساد والانكماش، الأمر الذي أدى الى البطالة.[٥] وعزا بعض الاقتصاديين الاسرائيليين هذا الكساد الى التباطؤ في الزيادة السكانية والذي وصل بدوره الى الصفر بالمئة نتيجة لتوقف هجرة المستوطنين من الخارج والى تراجع في الزيادة السكانية الطبيعية. هذا بدوره أدى الى تراجع في الطلب على الشقق السكنية.[٦]

أما العامل الثاني الذي أدى للانكماش الاقتصادي فكان انخفاض قيمته ٣٠ بالمئة في الاستثمارات في قطاع البناء، وانخفاض قيمته ٢٠ بالمئة في قطاع الصناعة. وأدى ذلك الى حدوث تراجع في الاستثمارات الخارجية بلغت ٤٠ بالمئة في العام ١٩٦٥ و١٥ بالمئة في العام ١٩٦٦.[٧]

ووجه الجمهور اللوم، في الكساد الاقتصادي، إلى رئيس الوزراء ليفي اشكول وإلى حكومته. ومع زيادة وتيرة الكساد الاقتصادي والتوتر على طول الحدود، بدأ "... الجميع بالتحدث عن الحاجة لقيادة أقوى من القيادة الحالية. وظهر أن التقييم المنتشر في اسرائيل يميل الى استبدال ليفي اشكول بالجنرال يغئال ألون رئيس حزب أحدوت هعفوداه أو بالجنرال موشيه ديان زعيم حزب رافي المؤيد لخط بن–غوريون.[٨]

العسكر ورئيس الحكومة

بين الحين وآلاخر يطرح بعض الكتاب والمحللين السياسيين سؤالا مهما، وهو: هل اسرائيل هي دولة لها جيش أم جيش له دولة؟

يكرس الكاتب سيجف ما مجموعه ٣٠٠ صفحة من كتابه (الذي بلغ ٧١٠ صفحات) لمعالجة العلاقات المركبة التي كانت قائمة بين الحكومة الاسرائيلية برئاسة ليفي اشكول والجيش الاسرائيلي تحت قيادة قائد الاركان الجنرال اسحق رابين. ويركز تحليله على العلاقة المتوترة التي كانت تربط ليفي اشكول كرئيس للحكومة ووزير للدفاع بقائد ألجيش الجنرال اسحق رابين.[٩]

يظهر جليا من التحليل أن ليفي اشكول كان سياسيا يفتقر للجاذبية

ويختلف جذريا عن دافيد بن–غوريون. كما أن اشكول لم يكن خبيرا في قضايا الأمن والاستراتيجية، وهذا ظهر من الآراء والأسئلة الساذجة التي كان يطرحها في المواضيع العسكرية، خلال جلسات الحكومة وخلال لقاءاته مع القادة العسكريين. ولذلك، ظهر ضعيفا أمام الشعب وأمام العسكر.

كيف بدأت الحرب

جرت عدة تطورات دفعت بالمنطقة إلى الحرب، أهمها التوتر على الحدود الاسرائيلية–السورية نتيجة لمشكلتي المياه والمناطق منزوعة السلاح، حيث قامت إسرائيل في العام ١٩٦٤ بانشاء مشروع تحويل جزء من مياه بحيرة طبريا ونهر الاردن الى صحراء النقب. وظهر عنصر آخر وهو حركة المقاومة الفلسطينية التي بدأت عملياتها الفدائية في ١/١/١٩٦٥.

ونشأ التوتر على الحدود كنتيجة لاصرار الحكومة الاسرائيلية على الهيمنة على المناطق منزوعة السلاح من خلال اسلوب الزراعة المسلحة الذي اتبعه الجيش بارساله جرافات وتراكتورات "لحرث وزراعة " المناطق منزوعة السلاح.[١٠]

و سعت اسرائيل، في السنة التي سبقت الحرب، الى جعل حدودها مع سورية منطقة متوترة بشكل متواصل. وتمثلت نتائج هذه السياسة باشتباكات مدفعية، وغارات طيران حربي اسرائيلي، واسقاط طائرات سورية، وغارات استعراضية فوق العاصمة دمشق، وتهديدات عسكرية اسرائيلية ضد النظام السوري.

ويعطينا الكاتب سيجف وصفا دقيقا لمواقف الجيش والحكومة من التوتر المتواصل على الحدود مع سورية، أظهر فيه ضعف الحكومة وهيمنة القرار العسكري. وفي هذه المرحلة التي سبقت حرب حزيران، كان قادة الجيش يرسلون التهديدات للنظام السوري قبل فترة العمليات الفدائية وبعد بداياتها الاولى، وبعد ألتحرشات الاسرائيلية من خلال الحراثة المسلحة للمناطق منزوعة السلاح، ويطلقون النار على الصيادين السوريين في الساحل الشرقي لبحيرة طبريا، ويغيرون على الاراضي السورية ومن ضمنها مدينة دمشق.

وبالإضافة للاسباب السابقة، فان أحد الاسباب التي ساهمت في حدوث ألتوتر على ألحدود كان الموقف الذاتي لقائد الاركان الجنرال اسحق رابين. ويعتقد ليئور، امين السر العسكري لرئيس الوزراء اشكول، أن الجنرال رابين كانت تحركه مشاعر كراهية خاصة للجيش والشعب السوريين.[١١] وبالاضافة لذلك، فان جنرالات هيئة الاركان العامة للجيش اعتبروا سورية العدو المركزي، وأنه يجب انزال ضربة قاسية عليها من خلال عملية عسكرية كبيرة.[١٢]

وفي اثناء النقاش الذي دار بين رابين واشكول بخصوص رد الفعل الاسرائيلي المناسب تجاه سورية، اقترح رابين تصعيد التوتر على طول الحدود وبعدها استغلال ذلك كذريعة لعملية عسكرية".[١٣]

لا يذكر الكاتب وجود خطة اسرائيلية للتحرش والاعتداء على سورية وحشد قوات عسكرية على الحدود، وتهديد سورية بشكل متواصل من قبل القادة العسكريين والسياسيين. وبدلا من ذلك، يروي الكاتب الاحداث وكأنها سلسلة من الافعال العربية (ومن ضمنها الفلسطينية) وردود الفعل الاسرائيلية: انها "ارهاب" فلسطيني، وقصف سوري، وردود فعل اسرائيلية من ضربات جوية، و"تدخل" عربي بتوقيع اتفاقية دفاع مشترك بين مصر وسورية، وتحركات عسكرية مصرية داخل صحراء سيناء.

ويعتقد الكاتب سيجف ان الحرب اندلعت بسبب التوتر وسلسلة الافعال وردود الفعل عليها. انه لا يحلل سياسات اسرائيل وتحرشاتها ورغبتها في التوسع الاقليمي. وتفسيره لتدهور الاوضاع منحاز لوجهة النظر الرسمية الاسرائيلية. فهو لا يذكر مثلا ان النظام الناصري لم تكن لديه نية جدية للحرب. فقد كان جزء مهم من الجيش المصري لا زال عالقا في اليمن، كما ان ارسال كتيبتين لصحراء سيناء لم يكن يشكل، حسب رأي اسرائيليين قياديين من عسكريين وسياسيين، تهديدا عسكريا جديا لاسرائيل. لذلك، فان التحركات العسكرية المصرية كانت تهدف الى ردع اسرائيل ومنعها من الاعتداء على سورية.

وبالاضافة لعامل التوتر، يعتقد الكاتب سيجف "... ان ما أدى الى الحرب هو الجو العام لدى الجمهور، الخوف، المحرقة، الخوف الصادق من المحرقة ... وهذا ما خافوا منه، ولهذا قاموا بضرب مصر ..."[١٤]

مرة أخرى يعطي الكاتب والمؤرخ توم سيجف تسطيحا لقضية مهمة وحكما خالي من التحليل يحول فيه نتائج سياسات ألحكومة لتصبح الاسباب والدوافع وراء قراراتها ألمصيرية المهمة. لا انكر أن مثل هذه الاجواء كانت سائدة بين الاسرائيليين عشية الحرب، ولكن الدول لا تشن الحروب لان رأيها العام يتملكه الخوف بل لان

الحرب ستخدم مصالحها. وعليه فان جو الخوف من محرقة ثانية قد تم فبركته ليخدم ويبرر السياسة الرسمية التي كانت تميل الى اشعال فتيل الحرب.

المقاومة الفلسطينية

بدأت العمليات الفدائية الفلسطينية عام ١٩٦٤ وكانت عمليات متفرقة دخلت للعمق الاسرائيلي، وزرعت مجموعات المقاومة الالغام متجنبة الاشتباك مع الجيش الاسرائيلي.

لم تشكل هذه العمليات خطرا عسكريا جديا على اسرائيل ولكنها أزعجت الجيش والحكومة. أراد الجيش توجيه ضربات جوية للنظام السوري الذي كان يرأسه الجناح اليساري في حزب البعث السوري. أما الحكومة فكانت تحث الجيش على التصدي للمجموعات الفدائية وايجاد حل على الارض مع توجيه ضربة محدودة لسورية.

وفي معرض تقييمه للعمليات التي بدأ فيها الفلسطينيون كجزء من نضالهم لاجل حقوقهم الوطنية، كتب سيجف ما يلي: "... نضج الفلسطينيون، وظهر جيل جديد من الفلسطينيين يريد الانتقام للنكبة التي حلت بهم في العام ١٩٤٨ ..."[١٥]

تعكس هذه المقولة فكرا تسطيحياً للدوافع التي وقفت وراء بدء جزء من الفلسطينيين بالنضال المسلح ضد اسرائيل. ان سيجف يعتقد ساخرا أن الفلسطينيين نضجوا، ولكن نضوجهم اقتصر على الرغبة في الانتقام. ويقتصر، سيجف، ردود فعلهم على "الانتقام للنكبة"، فهم ليسوا بشعب له حقوق وطنية، ويحمل مبادىء سياسية ويناضل من أجل حقه في تقرير مصيره على تراب وطنه فلسطين. انه يقزم نضال شعب كامل ويقتصره على رغبة في الانتقام، ويرفض معالجة قضيته كجزء مهم من الصراع العربي–الصهيوني.

بالاضافة لذلك، يظهر من وراء هذه المقولة أن سيجف يملك اطارا فكريا كولونياليا مبنياً على مركزية اوروبية تعتقد أن الانسان الاوروبي وحده هو ألذي يحمل مبادىء سياسية، وله حقوق وطنية، وأن السكان "المحليين" لا يملكون ذلك، بل تحركهم غرائز ومشاعر سلبية مثل الانتقام من الطرف الآخر، الحضاري والمستنير.

وهنا نستطيع محاولة التوصل الى تفسير لعملية التسطيح التي يبديها الكاتب سيجف لقضايا ملتهبة ومهمة، مثل الاسباب والدوافع التي وقفت وراء المقاومة الفلسطينية وبدء حرب حزيران.

يكتفي الكاتب بتسطيح هذه القضايا لانه لا يريد معالجتها وتحليلها، الامر الذي سيضطره لاتخاذ مواقف هو لا يريد الافصاح عنها. كما أن انحيازه الايديولوجي منعه من القيام بتحليل ظواهر سياسية مهمة، فجاء، بدلا من ذلك، بمقولات تم اخراجها من خزانة الدعاية الصهيونية.

الاستيطان الاسرائيلي

يعتقد الكاتب والمؤرخ توم سيجف أن عملية الاستيطان داخل المناطق التي احتلت كانت وليدة رغبة آنية لدى القوى السياسية في اسرائيل، تحولت الى سياسة. ففي لقاء أجري معه من قبل معهد الدراسات الدولية في جامعة كاليفورنيا في بيركلي، أكد الكاتب سيجف أنه "... ما أن أخذت هذه المناطق، فان القوى السياسية في اسرائيل قالت دعونا نستوطنها"[١٦]

لا يمكن اعتبار هذا توصيفا جيدا لعملية استيطان بدأت بعد شهر من الاحتلال وتواصلت دون توقف مدة ٤٠ عاما. كما أن هذا الرأي لا يشكل توصيفا لحالتين (١) عملية انتقال السيطرة العسكرية الاسرائيلية على أربع مناطق كانت خاضعة لسلطة ثلاث دول مجاورة، (٢) وكيفية نشوء الاستيطان في المناطق الأربع التي احتلت، وهي هضبة ألجولان، الضفة الغربية، قطاع غزة وصحراء سيناء. كما أن هذه ألمناطق لم تؤخذ بل تم احتلالها عسكريا ولم يبدأ المشروع الاستيطاني هكذا نتيجة لرغبة قوية ظهرت لدى قوى سياسية اسرائيلية.

المنطق الانساني البسيط يقول أن مشروع الاستيطان هو حصيلة تنسيق عالٍ بين ثلاثة أطراف اسرائيلية: الحكومة، والجيش، ومجموعة المستوطنين من بين المدنيين، وهذا التنسيق العالي لا يمكن له أن يحدث دون تخطيط دقيق. كما أن انشاء مستوطنة واحدة يحتاج الى قرار حكومي وتمويل حكومي ومجموعة من المستوطنين الراغبين في الاستيطان وحراسة من الجيش.

ولذلك فالاستيطان ليس قرارا وليد حيرة أو تعبيرا عن رغبة لدى القوى السياسية والتي "أخذت هذه المناطق" ثم قامت بمناجاة ذاتها فراودتها فكرة القيام بالاستيطان داخلها فانطلقت تستوطن في أربع مناطق.

ان مقولة "دعونا نستوطن" تدفع باتجاه تسطيح لعامل مهم جدا وهو المشروع الاستيطاني الذي تطور بعد حرب حزيران ١٩٦٧،

والذي يشكل حجر العثرة المركزي لأي حل عادل وسلمي للقضية الفلسطينية. ولذلك، لا تكفي هذه المقولة لشرح عملية استيطانية شكلت عنصرا مركزيا من البنية الايديولوجية للحركة الصهيونية. كما وأن هذه المقولة ليست تأريخا، بل محاولة غير بريئة لتمويه حقائق تاريخية ومسخها.

أي تفوق أخلاقي للضحية الوحيدة؟

وفي المقابلة ذاتها، يحاول الكاتب توم سيجف أن يحلل مقولة أخرى طرحها الجنرال رابين قائد الجيش الإسرائيلي في العام ١٩٦٧ والذي ألقى خطابا بعد الحرب في القدس المحتلة، جاء فيه ما يلي.

هذا جيش يجيء من الشعب ويرجع للشعب، لشعب ينمو فوق ذاته في وقت الحاجة، والذي، وان تم وضعه للاختبار، يستطيع أن يهزم أي عدو، وهذا يرجع لتفوقه الاخلاقي، والروحي، والعاطفي.[١٧]

يعتقد الكاتب توم سيجف أن مقولة رابين مبنية على موقف أخلاقي مشترك للمشروع الصهيوني ولاسرائيل تجاه الفلسطينيين. ويرى ان هذا الموقف الاخلاقي يتكون من الفكرة الاساسية التالية:

لا تستطيع حقا فهم المشروع الصهيوني ولا تستطيع فهم اسرائيل، دون أن تعترف بأنهما يشكلان رغبة صادقة كي لا يرتكب الظلم ضد الفلسطينيين. فدائما نحن الضحية. إنها الرغبة بالشعور بأننا لسنا فقط الضحية، بل الضحية المتفوقة أخلاقيا.[١٨]

لا توجد حاجة لنقاش مقولة الجنرال رابين، بل مقولة الكاتب توم سيجف. ان سيجف يعتقد أن المشروع الصهيوني واسرائيل الدولة تسيرهما " ... رغبة صادقة كي لا يرتكب الظلم ضد الفلسطينيين... " . ان الفحص التاريخي للماضي وللواقع الميداني ألذي ما زال يتكون، يظهران بشكل جلي هشاشة وعدم صدق هذه المقولة. ومن ألجدير هنا أن نطرح عدداً من الاسئلة التي تبحث عن اجابات منطقية ومقنعة ولنبدأها بالاسئلة التالية:

من الذي خطط وقام بحملة من الارهاب المنظم ضد المدنيين الفلسطينيين في ألفترة ١٩٣٧-١٩٣٩، وبالتطهير العرقي في الفترة ١٩٤٧-١٩٤٩، وبمجزرة كفرقاسم* ومجازر أخرى في قطاع غزة اثناء العدوان الثلاثي على مصر في العام ١٩٥٦، وبالاحتلال والاستيطان في الفترة ١٩٦٧-٢٠٠٧، وبمجزرة صبرا وشاتيلا في العام ١٩٨٢؟ ومن يصادر الارض ومصادر المياه والحريات، ومن يجتاح عسكريا ويعتقل ويهدم ويبطش ويغتال من الارض والجو نشطاء وقادة فلسطينيين؟ ومن يقيم جدارا الفصل العرقي يسجن شعبا من أجل حراسة المستوطنين ومشروعهم النهبوي، ومن قام بالاغلاق العسكري في العام ١٩٩٣ وطرد آلاف العمال الفلسطينيين وخلق مشكلة من البطالة والفقر لشعب يتجاوز الثلاثة ملايين من غير ألضحايا؟ انها دون شك الضحية الوحيدة المتفوقة أخلاقيا وروحيا وعاطفيا والحركة الصهيونية الاستيطانية صاحبة المشروع الكولونيالي النهبوي.

اليهود الشرقيين والعرب

تناول الكاتب توم سيجف موضوع اليهود الشرقيين بشكل مقتضب وفي فصل منفرد. عرض الكاتب الاوضاع السكنية والمعيشية لليهود الشرقيين، وأظهر الفجوات والتباين مع أوضاع اليهود الاوروبيين الاشكناز.

يعدد الكاتب مظاهر التمييز ضد اليهود الشرقيين من اجور منخفضة، وتعليم متدني المستوى، وظروف سكنية من الاكتظاظ والرداءة، وتمييز في الشروط والخدمات الصحية، واختفاء أطفال يمنيين، ونسبة عالية من البطالة، وغيرها من مظاهر التهميش الاقتصادي والاجتماعي. ويعترف الكاتب سيجف ان "الفجوات في أوضاع الشرقيين نبعت من أسباب مختلفة أهمها التمييز الموجه "[١٩]

ويعالج سيجف أوضاع العرب، فيذكر الحكم العسكري الذي فرض على العرب في الفترة ١٩٤٩-١٩٦٦، وعملية رفضهم من قبل السياسيين، ووصفهم كأعداء الدولة، والحديث عن تهجيرهم خارج البلاد، والتهميش الاقتصادي والفقر ومصادرة أراضيهم الزراعية، والميزانيات المخصصة للعرب وغير المتساوية مع الميزانيات لليهود الاسرائيليين، والروح العدوانية للصحافة والاعلام الاسرائيلي تجاه العرب الذين أصبحوا مواطنين. ويخلص الكاتب الى استنتاج مفاده "أنه تم التمييز ضد العرب في كافة مجالات المعيشية "[٢٠]

من الملاحظ، أنه بالمقارنة مع توصيف التمييز ضد اليهود الشرقيين ب "التمييز الموجه"، فان سيجف لا يعطي أي توصيف للتمييز ضد العرب. فهو لا يصفه بالموجه ولا بالتمييز العنصري.

ويذكر سيجف "أن الحركة الصهيونية تبنت منذ البداية مبادىء الديمقراطية الليبرالية، وان قادة الجمهور الاسرائيلي في البلاد كانوا ملتزمين بمبادىء الاشتراكية والاشتراكية الديمقراطية..."[٢١]

ولكن "الكثيرين من قياديي الدولة آمنوا أن العرب الذين يسكنون في أرض اسرائيل عليهم الهجرة للبلاد المجاورة، وأن الاقليات القومية الحصول على مساواة في الحقوق كان قانوناً تاريخياً..."[٢٢]

لا يعالج الكاتب سيجف التناقض الصارخ بين فرضيته التي تصف الصهيونية بأنها تؤمن بمبادىء الاشتراكية والانسانية، والرغبة لدى القادة الصهيونيين في تطهيرهم عرقيا وطردهم من البلاد. وهذا النمط من الكتابة الاختزالية، تكرر في عدد من المواضيع، ما يجعل من الكاتب ساردا للاحداث لا محللا ولا مستنتجا.

قضايا مغيبة

بالاضافة لعدد من القضايا التي عالجها الكاتب بشكل منحاز لوجهة النظر الاسرائيلية، فانه لم يعالج قضايا مهمة، منها الاغارة على سفينة التجسس الأميركية ليبرتي، جرائم الحرب التي اقترفها جزء من الجيش الاسرائيلي داخل صحراء سيناء، عمليات نهب الممتلكات العربية، الخاصة والعامة، والانحياز الكبير للولايات المتحدة.

لم يذكر الكاتب قيام سلاح الطيران الاسرائيلي بالاغارة مرتين على سفينة التجسس ليبرتي ومقتل ٣١ بحارا أميركيا وذلك لمنعها من التنصت على عمليات قتل آلاف الأسرى المصريين. قام الكاتب باختزال قضية جرائم الحرب التي ارتكبت في سيناء وذكر عدداً من جرائم اعدام الاسرى بعد استسلامهم، ولكنه لم يذكر كيف قام الجيش وبشكل منهجي باجبار آلاف الجنود المصريين على نزع أحذيتهم ومن ثم اطلاق سراحهم لكي يموتوا عطشا وجوعا داخل صحراء سيناء، ولم يذكر كيف كان الجيش يجبر الاسرى على النوم على الارض مكبلي الايدي لتجيء دبابة وتمرّ فوق رؤوسهم. كما وان الكاتب لم يذكر عمليات نهب الممتلكات العربية التي قام بها جنود اسرائيليون في مدن الضفة وهضبة الجولان.

لا اريد هنا أن أقدم اثباتات عن الانحياز الأميركي للمواقف الاسرائيلية. فالانحياز الأميركي يظهر جليا في عدد من القضايا منها أداء المندوب الأميركي في الامم المتحدة واستخدام الأميركيين لحق النقض الفيتو لمنع الامم المتحدة من اتخاذ قرارات جدية ضد الممارسات الاسرائيلية، والمساعدات العسكرية والاقتصادية السنوية لاسرائيل وغيرها الكثير. ولكن أريد تناول قضيتين، هما الضوء الاخضر الأميركي لحرب حزيران والمساعدة التقنية–العسكرية للجيش الاسرائيلي اثناء الحرب.

وهنا من الجدير ذكره انه لولا الضوء الاخضر الأميركي لما استطاعت اسرائيل شن حربها العدوانية في حزيران ١٩٦٧. وكان رئيس الحكومة ليفي اشكول حريصا جدا على تلقي الموافقة والتأييد الأميركي لحرب حزيران.

كما وان الولايات المتحدة ارسلت في ٣ حزيران لاسرائيل طاقماً من طائراتها الحربية الحديثة التي تستطيع التصوير من الجو نهارا وليلا، وارسلت خبراء عسكريين في الاستطلاع والتصوير الحربي، ومختبرات للتصوير. وكانت هذه المساعدة التقنية–العسكرية ضرورية لاسرائيل لتحديد مواقع المطارات، وارتال الدبابات وحشودات القوات العسكرية على الجبهات العربية الثلاث المصرية ، الاردنية والسورية.[٢٣] ويذكر ستيفن جرين، وهو كاتب أميركي، انه "... في سنة ١٩٦٧، لم يكن سلاح الجو الاسرائيلي يملك أية قدرة على الاستطلاع الليلي."[٢٤]

المراجع المستخدمة وعملية التوثيق

ان نظرة فاحصة للمراجع التي وظفها سيجف في بحثه–كتابه تظهر بوضوح أنه لم يستخدم أي مرجع عربي، ولم يلتق بأي سياسي أو عسكري عربي شارك في وعاصر حرب حزيران ١٩٦٧. كان باستطاعته الالتقاء بعدد من السياسيين والعسكريين العرب في كل من الاردن ومصر. كما أنه لم يجر أي لقاء مع أكاديميين وباحثين عرب درسوا حرب حزيران، ولم يوظف لا دراسات ولا حتى مقالات كتبها كتاب عرب بالانكليزية. ان استخدامه للمراجع اقتصر على المراجع الاسرائيلية العبرية والمصادر الاوروبية الأميركية التي كتبت بالانكليزية. وكعادة ونهج ألمستشرقين الاوروبيين والأميركيين فتوم سيجف الكاتب يحمل وجهة نظر أحادية ومنحازة للطرف الاسرائيلي، وهذا ظهر في عدد من المواقع والمعالجات التي قام بها في كتابه.

يقوم الكاتب بتوثيق بعض المعلومات والبيانات، ويمنع من توثيق العديد من المعلومات والاحصاءات. فهو يتبع منهجا انتقائيا في توثيقه.

ان تكرار اقتباس معلومات وبيانات مهمة وعدم توثيقها لا يشير الى هفوة عارضة من طرف الباحث وانما الى عملية منهجية

مقصودة. وهذا الأمر ينتقص بعضا من مصداقية الباحث ويدفعنا للاعتقاد أن عدم التوثيق يراد به معالجة، وربما تزييف، الأفكار والبيانات المقتبسة بحيث تلائم وتتوافق مع انحيازه الأيديولوجي الظاهر منه والمبطن.

وأخيرا، أعتقد أن سيجف قام بكتابة بحث موجه ومنحاز وله أهداف وغايات. كما أن مثل هذه الأبحاث المقتصرة على وجهة نظر أحادية الجانب، وعلى استبدال بحث وتحليل مواضيع مهمة وشائكة بمقولات أيديولوجية ساذجة وسطحية، وعلى تغييب قضايا مهمة جدا، – تعكس وضعية تفتقر للمصداقية العلمية ولا يمكن اعتبارها نهجا بحثيا علميا وسليما، بل هي نوع من أنواع الابحاث الموجهة.

الهوامش

١ توم سيجف. موسوعة ويكيبيديا على شبكة المعلومات http://en.wikipedia.org . تم دخولها بتاريخ ٧-١-٢٠٠٧

٢ المصدر ذاته

٣ Kreisler, Harry , "Conversation with Tom Segev", hhtp://glo-betrotter.edu , as accessed on ٢٢ May ٢٠٠٧

٤ المصدر ذاته

٥ توم سيجف (٢٠٠٥) اسرائيل في العام ١٩٦٧ - بالعبرية (القدس: دار كيتر للنشر).. ص ٥٠

٦ المصدر ذاته

٧ المصدر ذاته. ص ٥١

٨ المصدر ذاته. ص ١٠٣

٩ المصدر ذاته

١٠ المصدر ذاته. ص ٢١٢-٢١٣

١١ المصدر ذاته. ص ٢١٢

١٢ عامي جلوسكا (٢٠٠٤) اشكول. أعطى ألامر – بالعبرية (تل-أبيب: وزارة الدفاع). ص ١١٥ فما بعد. كما جاء في المصدر ذاته. ص ٢١٣

١٣ المصدر ذاته. ص ٢٢١

١٤ لقاء توم سيجف مع هاري كرايسلر. مصدر سبق ذكره

١٥المصدر ذاته

١٦ المصدر ذاته. اللقاء رقم ٥

١٧ المصدر ذاته

١٨ المصدر ذاته

* يسمي الكاتب توم سيجف مجزرة كفرقاسم "بالحادثة". انظر صفحة ٣٨٣

١٩ توم سيجف. اسرائيل في العام ١٩٦٧. ص ٥٨

٢٠ المصدر ذاته. ص ٨٤

٢١ المصدر ذاته. ص ٨١

٢٢ المصدر ذاته

٢٣ ستيفن جرين (١٩٩٢) الانحياز – علاقات اسرائيل السرية باسرائيل (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية)ن ص ١٧٩-١٨٦

٢٤ المصدر ذاته. ص ١٨٣